الصليب وذبائح العهد القديم

في اللاهوت الشرقي الأرثوذكسي

(١)

دكتور

رؤوف إدوارد

٢٠١٧

www.coptology.org

الصليب وذبائح العهد القديم

في اللاهوت الشرقي الأرثوذكسي (١)

لقد تجسد **إبن الله الكلمة** وصار **رئيس كهنتنا الأبدي** الذي قدَّم جسده الذاتي بإرادته وحده **ذبيحة أبدية** أسس بها **عهده الجديد** مع الإنسان. لذلك **هو الكاهن والذبيح** معاً للعهد الجديد. أما عن **ذبائح العهد القديم** ''تِلْكَ شَرِيعَةُ الْمُحْرَقَةِ، وَالتَّقْدِمَةِ، وَذَبِيحَةِ الْخَطِيَّةِ، وَذَبِيحَةِ الإِثْمِ، وَذَبِيحَةِ الْمِلْءِ، وَذَبِيحَةِ السَّلاَمَةِ،الَّتِي أَمَرَ الرَّبُّ بِهَا مُوسَى فِي جَبَلِ سِينَاءَ، يَوْمَ **أَمْرِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ** بِتَقْرِيبِ قَرَابِينِهِمْ لِلرَّبِّ فِي بَرِّيَّةِ سِينَاءَ'' (لاويين ٧:٢٣)، فإن الليتورجيات (الصلوات) الأرثوذكسية لم تقدم أية إشارة إليها، أي ذبيحة الإثم – المحرقات بكل أنواعها – ذبيحة الخطية – ذبيحة السلامة – تقدمة خبز الوجوه.

إن **غياب هذه الذبائح في الليتورجيات الأرثوذكسية** ليس مجرد مصادفة. ذلك لأن قلب وجوهر الطقس والعقيدة الأرثوذكسية لا يمكن أن تشرحه ذبائح العهد القديم تلك. ولقد أوضح القديس بولس الرسول والقديس أثناسيوس الرسولي هذه الحقيقة. فرسالة **العبرانيين ١٠** تتكلم عن **أن الله لَمْ يُسَرّ و لم يطلب أصلاً ذبائح الشريعة الموسوية** ''لأَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا .. بِمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُسَرَّ (الله لم يُسرُّ بها) .. ذَبِيحَةً وَقُرْبَانًا لَمْ تُرِدْ (الله لم يطلبها) وَلكِنْ هَيَّأْتَ لِي جَسَدً (تجسُد المسيح)''. و يشرح **ق. أثناسيوس** في (الرسالة ١٩من رسائل عيد القيامة عام ٣٤٧م) كيف أن **الشريعة لم تأمر أولاً وفي البداية بتقديم الذبائح**، و أنه لم يكن هذا هو تدبير الله الذي أعطى الشريعة أن تُقَدَم له المحرقات ''لأَنِّي لَمْ أُكَلِّمْ آبَاءَكُمْ وَلاَ أَوْصَيْتُهُمْ يَوْمَ أَخْرَجْتُهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ جِهَةِ مُحْرَقَةٍ وَذَبِيحَةٍ.'' (ارميا ٧:٢١). ولكنه

أوصى الشعب بأن يعرفوه أنه الإله الحقيقي وكلمته، وأن يحتقروا هؤلاء الآلهة الكاذبة التي تُدعَي كذباً آلهة. وأظهر الله ذاته لشعبه بشكل ظاهر، وجعلهم يعرفون أنه هو الذي أخرجهم من أرض مصر. ولكن عندما إختاروا أن يعبدوا البعل وتجاسروا على أن يقدموا الذبائح لمن لا وجود لهم ونسوا المعجزات التي تمَّت في أرض مصر، وعِوضاً عن الحَمَل (الفصح) الذي أُعطِيَ لهم أن يقدموه، تعلموا كيف يذبحون للبعل، بل وفكروا في العودة إلى مصر، هنا فقط جاء الناموس بالوصية الخاصة بالذبائح وحتي يتعلموا كيف يعبدون الله حسب وصايا الناموس وبذلك يتركون الأوثان.

أما عن الحَمَل الذي أُعطِيَ لهم والذبيحة الواحدة التي تَخُّب كل الذبائح فهي **ذبيحة عيد الفصح** وهي المناسبة التي أسَّس فيها ربنا يسوع المسيح سر تقديم جسده ودمه بخبز وخمر. لذلك فإن مركز وقلب التعليم الأرثوذكسي هو حَمَل الفصح؛ لأن حَمَل الفصح أَبعد ملاك الموت وحَوَّل الُمهلك عن شعبٍ بأكمله، مثلما حَوَّلت ذبيحة الرب على الصليب الموت والفساد عن الجنس البشري كله.

والعلاقة بين حَمَل الفصح وموت الرب تتلخص في أن ذبيحة حَمَل الفصح: أبادت الموت / كانت للخلاص من الموت والعبودية / هي الوحيدة التي يأكلها الشعب كلها / هي عن الشعب كله / يقدمها الشعب كله / لا يُقَدَم منها شئ على المذبح ليُحرَق بالنار، لأنها لم تكن لمغفرة الخطايا. فعلى خلاف رؤية اللاهوت الغربي لذبيحة المسيح على الصليب، نجد أن حَمَل الفصح لا علاقة له بما يمكن أنُ يقال عن حَمْل عقوبةٍ، أو موتٍ نيابي عن خطيئة آخر، أو إستيفاءٍ لعدل الله أو ترضيةٍ لغضب الله مِن جهة ذنب إنسان. هذا الفكر هو مِن وَضْع مدارس **لاهوت العصر الوسيط** في أوروبا وبتأثير من الفكر القانوني السائد ذلك الوقت عن عدم وجود مغفرة مجانية. وأيضاً بسبب تفسير الغرب أننا ورثنا خطية آدم وليس طبيعته المائتة، مما إستوجب عقابَ شخصٍ بديلٍ عن البشر – و هو يسوع المسيح – يحمل العقوبة عنهم إستيفاءً لعدل الله الذي ظنوه عدلاً لا يختلف عن عدل محاكم البشر وربما أقل لأن القانون البشري لا يعاقب بريء عِوضاً عن المذنب. أما **اللاهوت الشرقي** فبحسب الكتاب (كما شرحنا قبلاً) إعتقد

بوراثة الطبيعة المائتة لآدم وليس خطيئته. لأن فعل الإنسان لا يُوَرَّث بل نتائجه .. أي فساد الطبيعة البشرية نتيجة خطية آدم. مما تطَّلب شفاء الطبيعة البشرية بتجسد المسيح. ولقد أُلصِقت فكرة موت البديل البريء عن المذنب بدايةً بالعهد القديم، ثم وصلت إلى المسيح نفسه وجَعلت منه خاطئ – حاشاً له .. فهو قدوس القديسين — حتى يدفع ثمن خطايا البشرية موتاً على الصليب. مع أنه لا يوجد نصٌ واحدٌ في العهد القديم، ولا في المصادر اليهودية السابقة على المسيحية، أو في المسيحية الشرقية، يقول إن الخطية تنتقل بوضع يد مُقرِّب الذبيحة إلى الذبيحة.

أما بخصوص ماُ ذكِر في (لاويين ٤:١) عن **ذبيحة المُحرَقة** ''وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ الْمُحْرَقَةِ، فَيُرْضَى عَلَيْهِ لِلتَّكْفِيرِ عَنْهُ''، فإن السفر لم يذكر أية علاقة بينها وبين الخطية بالمرة؛ بل إنها تقدمة إختيارية حيث يبدأ السفر بكلمة إذا '' إِذَا قَرَّبَ إِنْسَانٌ مِنْكُمْ قُرْبَانًا لِلرَّبِّ''. كما أنها ''رَائِحَةِ سُرُورٍ لِلرَّبِّ.'' ولا علاقة لها بالخطية. و لكن المُقرِّب يضع يده على رأس الذبيحة، لكي يؤكد فعل التقديم حسب شرح كل علماء المسيحية و اليهودية. إن خرافة إنتقال خطية الإنسان إلى حيوان بريء لا يَعرف فكر الإنسان ولم يشاركه خطيته، حاول بها شيعة ''الإخوة'' وغيرهم، شرح ما جاء في (١ بطرس ٢:٢٤) ''الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَنَحْيَا لِلْبِرِّ'' بينما هم يجهلون الأصل اليوناني للفعل ''حَمَلَ'' أنه بمعنى ''رفع'' أو''أزال'' الخطية كعائق، و ليس أضاف إلى نفسه ومَلَك ما لايمكن إمتلاكه، وهو الخطية. الله لا يقبل موت إنسان عن إنسان وإلا كان إستجاب لشفاعة موسى عن بني إسرائيل أن يموت بديلاً عنهم ''وَالآنَ إِنْ غَفَرْتَ خَطِيَّتَهُمْ، وَإِلاَّ فَامْحُنِي مِنْ كِتَابِكَ الَّذِي كَتَبْتَ» ''. بينما كان ردّ الله له ''«مَنْ أَخْطَأَ إِلَيَّ أَمْحُوهُ مِنْ كِتَابِي'' (الخروج ٣٢:٣٢). و يقول المزمور(٢٩:٧) ''الأَخُ لَنْ يَفْدِيَ الإِنْسَانَ فِدَاءً، وَلاَ يُعْطِيَ اللهَ كَفَّارَةً عَنْهُ''. إن مصطلح أن ربنا يسوع المسيح ''قُدِّمَ مُحرَقةً'' للآب لم يذكره أيٌ من الآباء، وهو مصطلح غائب عن العهد الجديد. أما نص أفسس (٥:٢) ''وَاسْلُكُوا فِي الْمَحَبَّةِ كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضًا وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، قُرْبَانًا وَذَبِيحَةً للهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً'' فقد فسره ق. كيرلس

الكبير [صار المسيح رائحةً زكيةً، لأنه أعلن في ذاته الطبيعة الإنسانية التي صارت بلا خطية]. فلا يجب أن يُشرَح النص على أساس ما جاء في العهد القديم من الذبائح التي لم يُسَرّ بها الله، بل إستناداً إلى شرح الآباء وإستناداً إلى القاعدة اللاهوتية أن تفسير العهد القديم يجب أن يتم على أساس إعلانات العهد الجديد وليس العكس"فَإِنَّ شَهَادَةَ يَسُوعَ هِيَ رُوحُ النُّبُوَّةِ" (رؤيا ١٩: ١٠). لذلك كانت ذبيحة الفصح ويوم الكفارة وتقدمة إبراهيم لأسحق وتقدمة ملكي صادق من الخبز والخمر هي فقط التي إرتبط ذكرها بذبيحة المسيح في الليتورجية الأرثوذكسية القبطية. (**وهذا موضوع المقال القادم بمشيئة الرب**).

والسبح لله.

بقلم : د. رءوف إدوارد